

إسهام العلماء العثمانيين في اللغة العربية

(1495/900) و (1591/1000)

أ. د. عابد يشار كوجاك

الملخص

من بداية تأسيس الدولة العثمانية حتى سقوطها بإعلان الجمهورية سنة ألف و تسعمائة و ثلاثة و عشرين مرّت ستمائة سنة تقريبا ظهر و نشأ علماء كثيرون في اقليم الدولة العثمانية، ألفوا كتباً في اللغة العربية بجانب تأليفهم الكتب الدينية و الأدبية و العلوم المختلفة و هذه المؤلفات كانت تتعلّق بالصرف و النحو و اللغة و كانت هذه الكتب تدرّس في المدارس لتعليم اللغة العربية و اختاروا اللغة العربية لغة أساسية لتحصيل العلم في المدارس. يقول السخاوي: و من الممالك الروم التي عاصمته اسطنبول و منه أدرنة و بورصة و غيرها ففيها علماء و فضلاء و أغلبهم بل كلّهم حنفيون و قلّ أن تصل إلينا أخبارهم. و بسبب معرفة و فهم القرآن و أحاديث الشريفة اهتمّوا باللغة العربية و تعليمها.

و اهتمّ حكماء الدولة العثمانية بالعلم و اللغة العربية و تشجيع العلماء و نشرها كما اهتمّ العلماء باللغة العربية و منهم أرحان بن عثمان بك في أوائل سلطنته أخذ العالم مولانا سنان تحت حمايته عينه قاضيا لمدينة بورصة و في السنة الثالثة من سلطنته فتح مدينة إزنيق و حوّل واحدا الأبنية الأثرية الي مدرسة و هذه المدرسة هي أول مدرسة في تاريخ العثمانيين.

المصادر التي تتعلّق بالعلماء العثمانيين:

- 1- المصدر الأساسي الذي ألف للعلماء العثمانيين هو الشقائق العثمانية لإطاش كوبري زاده احمد أفندي و هذا الكتاب قد ألف بعد تأسيس الدولة العثمانية بمائتي سنة.
- 2- أما المصدر الذي ألف للعلماء العثمانيين بعد شقائق العثمانية هو "كتاب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار" لمحمود بن سليمان الكفوي. و بعد هذا الكتاب يأتي كتاب " الطبقات السنية في تراجم الحنفية " لتقي الدين التميمي.

و في هذا المقال أردنا أن نعطي معلومات موجزة عن جهود العلماء العثمانيين و تعريف قليل منهم لنريح السخاوي رحمه الله لقوله

"قلّ أن تصل إلينا أخبارهم".

من بداية تأسيس الدولة العثمانية حتّى سقوطها بإعلان الجمهورية سنة ألف و تسعمائة و ثلاثة و عشرين مرّت ستمائة سنة تقريبا ظهر و نشأ علماء كثيرون في اقليم الدولة العثمانية. و بسبب معرفة و فهم القرآن و الأحاديث الشريفة اهتمّوا باللغة العربية و تعليمها و لذلك هؤلاء العلماء ألفوا كتباً مهمة في اللغة العربية بجانب تأليفهم الكتب الدينية و الأدبية و العلوم المختلفة. و هذه المؤلفات كانت تتعلّق بالصرف و النحو و في نفس الوقت كانت تُدرّس في المدارس لتعليم اللغة العربية. و أختيرت اللغة العربية لغة أساسية لتحصيل العلم في المدارس ذلك الوقت. و يقول السخاوي: " من الممالك الروم التي كرسيّ ملكه اسطنبول و منه أدرنة و بورصة و غيرها ففيها علماء و فضلاء بالعقليات ، أغلبهم حنفيون. و قلّ أن تصل إلينا أخبارهم."

تأخّرت كتابة الحياة العلمية للدولة العثمانية لأنّ العثمانيين الذين قدّموا الي بلاد الروم كانوا أميينو لم يكن بينهم من واقفاً علي العلم. و نستطيع أن نقول سبب هذا أنّهم كانوا يعيشون وسط شعب نصرانيّ و لغتهم لغة الروم و لا يعرف اللغة العربية.

و كان الأوائل الذين حاولوا أن يُنْعِشُ الحياة العلمية هم العلماء الأتراك الذين حضروا من مختلف البلاد من ديار الروم. و في أواخر أيام أرطغرول بك جاء الشيخ أده بالي الي منطقة هذا السلطان. و فيما بعد دعا أده بالي الفقيه دُرُصون القرماني من قرمان الي حماية عثمان بك في أوائل سلطنته. و عند حضوره خطب هذا العالم الخُطبة الأولى باسم عثمان بك في مدينة قرجاحصار و هي أوّل مدينة فتحها عثمان بك. ثمّ بعد زمن قصير عثمان بك عيّن الشيخ الفقيه دُرُصون قاضيا له. و يعتبر أوّل قاض في الدولة العثمانية (1299/699). و بعد وفاة القاضي دُرُصون بك في تاريخ 1326/726 أصبح الشيخ أده بالي أوّل شيخ الإسلام في الدولة العثمانية. و في فترة حكم عثمان بك ظهر علماء كثيرون و تميّز من بينهم العالم جاندرلي قره خليل الذي لم يكن أصله من العثمانيين.

و اهتمّ حكّماء الدولة العثمانية بالعلم و اللغة العربية و نشرها و تشجيع العلماء أيضا كما اهتمّ العلماء باللغة العربية. منهم أرخان بن عثمان بك في أوائل سلطنته أخذ العالم مولانا سنان تحت حمايته و عيّنه قاضيا لمدينة بورصة و في السنة الثالثة من سلطنتهفتح مدينة إزميت و حوّل إحدي الأبنية القديمة الأثرية الي مدرسة. و هذه المدرسة هي أوّل مدرسة في تاريخ الدولة عثمانية. و بعد هذه المدرسة أسست مدرستان في مدينة إزنيق و مدينة بورصة. دعا عثمان بك العالم من العلماء المتقدّمين العالم العامل و الفاضل الشيخ داود القيصري القرماني الي مدينة إزنيق و عيّنه مدرّسا في المدرسة التي في إزميت. و لذلك الشيخ داود القيصري يعتبر أوّل مدرّس في الدولة العثمانية كونها من أوائل المدارس التي أسست في هذه الفترة.

مع توسّع الدولة العثمانية بالفتوحات أسست مدارس جديدة في كلّ مُدُن الدولة علي رأسها بورصة و أدرنة و لكن مدارس التعليم العالي تكثّفت في العاصمة بين السنوات 1331-1451هـ أسست 82 مدرسة علي مدار المنطقة. المدارس التي أسست بين السنوات 1463-1471 سُمّيت **مدارس الفاتح** أو **صحن ثمان** و مع تأسيس هذه المدارس بدأ التدريس بالسنوات المحدّدة و علي نجاح الفصول.و المدارس التي أسست بين السنوات 1550-1557هـ سُمّيت **مدارس السليمانية**.

بعد هذا السرد المختصر الذي عن حياة العلمية في إقليم الدولة العثمانية أريد أن أعطي معلومات عن بعض العلماء البارزين في الدولة العثمانية علي سبيل الإختصار.

ابن كمال باشا، احمد بن سليمان (المتوفي 1533/940): من علماء دولة السلطان سليم خان. اشتغل بالعلم الشريف ليلا و نهارا و هو شابّ ثمّ ألحقوا بزُمرّة أهل العساكر. اسمه احمد بن سليمان بن كمال باشا، أشتهر بـ"ابن كمال باشا زاده" أو بـ"ابن كمال"، أبوه شجاع الدّين سليمان بك و هو أحد قوّاد السلطان محمد الفاتح. أمّه من بيت أهل علم. و جدّه كمال الدين أحمد باشا كان من أمراء السلطان محمد الفاتح. ولد ابن كمال في مدينة أمسيا بتاريخ 1469/873. أخذ الصرف و النحو و البلاغة من علماء مسقط رأسه. ثمّ استمرّ في تدريسه بمدينة أدرنة و أخذ من علماء البارزين في هذه المدينة منهم مُلا لطفي (ت1494/900) و الشيخ مصلح الدين مصطفى (ت1496/901) و خطيب زاده محي الدين (ت1495/901). و أخذ منه كثير من الطلاب و أهل العلم مثل شيخ الإسلام أبو سعود أفندي و جلال زاده صالح شلبي و سعدي سعد الله أفندي. ثمّ صار مدرّسا بمدرسة علي بك بأدرنة.

ابن كمال باشا بعد وظيفته التدريسية في مدن أدرنة و أسكوب و استانبول عُيّن قاضيا لمدينة أدرنة بتاريخ 1515/921. و بتاريخ 1526/932 أصبح شيخ الإسلام للدولة. و توقّف في عام 1534/940 و هو علي وظيفة شيخ الإسلام. و دفن في مدينة استانبول. كمال باشا زاده كان عالما في

الفقه و الحديث و العلوم الدينية و الأدبية و التفسير و الأدب و الفلسفة و التاريخ. و هو أحد كبار العلماء البارزين للدولة العثمانية في عهد سليم خان.

و له أكثر من مائتي مؤلفات باللغة العربية و التركية و الفارسية و كُتِبَ و رسائل. و أيضا له يد طولي في النظم و الإنشاء بالفارسية و التركية. قد صنّف كتابا بالفارسية علي منوال كُليستان و سمّاه "نِكاريستان".

من آثاره اللغوية هي: الصرف: الفلاح في شرح المراح. طبع هذا الكتاب في استانبول و القاهرة عدّة مرّات.

النحو: أسرار النحو، طبع هذا الكتاب في المانيا و دمشق. وبيان الجمع، نسبة الجمع، رسالة في أفعال التفضيل، لها نسخة خطية ضمن مجموعة من ورقة ب 17 – أ 109 في مكتبة برتونال برقم 915 داخل مكتبة سليمانية باستانبول. و رسالة المؤنث السماعي، لها عدّة نسخ خطية. ورسالة "من" التبعية، لها نسخ خطية ضمن مجموعة من ورقة ب 117- أ 120 في مكتبة سليمانية برقم 786 و مكتبة نور عثمانية برقم 4475 و مكتبة كوبرلي برقم 1014 باستانبول. و التوسع في لسان العرب الخ. كلّ تصانيفه كانت مقبولة بين الناس.

طاشكوبري زاده عصام الدين احمد بن مصطفى (ت1560/968): اسمه بالكامل هو عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصطفى، اشتهاره بنسبته طاشكوبري زاده اضافة الي بلد أهله الأصلية. ولد في مدينة بورصة في سنة 1495/901. تعلّم علي يد أبيه في صغره في انقره و بورصة. و أخذ علوما مختلفة من علماء عصره. منهم: مُلا فناري، محي الدين شلبي و سيدي أفندي.

كان يهتم بكتابة تراجم أحوال العلماء و الكتابة في الأدب و اللغة. قام بوظيفة التدريس في مدن مختلفة و في عام 1551/958 عُيّن قاضيا في مدينة استانبول. في هذه السنوات فقد بصره بعد اصابته بمرض في عينيه. ترك الوظيفة الرسمية و تفرّغ للكتابة. ألف كتبا مفيدة في التفسير و الأصول و العلوم العربية. لكنّه كونه أعمي في أواخر عمره لم يتيسّر له تبييض هذه المؤلفات. أكمل كتابه المشهور الشقائق النعمانية سنة 1557/965 في آخر يوم شهر رمضان. و قد ثبت أنّ له مؤلفات في اللغة العربية أيضا. منها: "عليقة في توجيه معني أكثر من أن يحصي"، "مفتّح الأعراب". رتّب هذا كتاب علي مقدمة و ثلاثة أقسام شرح علي العوامل المائة للجرجاني في النحو المسمي بمعرب العوامل المائة، رسالة في بحث الاسم. لها نسخة خطية في مكتبة عاشر أفندي برقم 430/16 في استانبول.

البركوي، محمد بن بيرعلي (ت1573/981): من أهمّ الشخصيات العلمية و الثقافية في قرن السادس عشر في الدولة العثمانية. ولد في مدينة باليكسير بغرب تركيا بتاريخ 1523/929. تعلّم و حفظ القرآن في بلده و ثمّ سافر الي استانبول و درس في مدارسها المختلفة. و من بين شيوخه أخي زاده محمد أفندي و عبد الرحمن أفندي المشهور بقزيل مُلا. و بعد اكمال تدريسه أصبح مدرّسا في مدارس مختلفة. ثمّ سافر الي مدينة أدرنة فاشتغل بإرشاد الناس يدعوهم الي الكتاب و السنّة و ينهاهم عن البدع. و أخيرا رجع الي مدينة برّكي و عيّن مدرّسا و اشتغل هناك حتّي توفيّ رحمه الله. له تصانيف في العلوم الدينية و اللغة العربية. منها: إظهار الأسرار في النحو، عليه شروح كثيرة طبع عدّة مرات. و العوامل الجديدة، طبع هذا الكتاب عدّة مرّات في استانبول. امتحان الأنكباء، شرح لبّ الألباب للبيضاوي. كان مرغوبا في المدارس العثمانية. عليه شروح و هواشي كثيرة و طبع هذا الكتاب عدة مرات. و الانتاح

في شرح ديباجة المصباح هو شرح الافصاح عن أنوار المصباح الذي شرح علي المصباح للمطرزي (ت1213/615).

المصادر التي تتعلق بالعلماء العثمانيين:

المصدر الأساسي الذي أُلّف للعلماء العثمانيين هو *الشفائق النعمانية لطاش كوبري زاده أحمد أفندي*. و هذا الكتاب قد أُلّف بعد تأسيس الدولة العثمانية بمائتين و خمسين عاما. يقول مؤلفه: "فإنّي منذ عرفت اليمين من الشمال و المستقيم من المحال كنت مشغولاً بمتبّع مناقب العلماء و أخبارهم... و لقد دَوّن المؤخرون مناقب العلماء و الأعيان... و لم يلتفت أحد الي جمع أخبار هذه البلاد و كاد لا يبقي اسمهم و رسمهم علي ألسن كلّ حاضر و باد. لَمّا شاهد هذه الحال بعض من أرباب الفضل و الكمال التمس منّي أن أجمع مناقب علماء الروم." هذا الكتاب طبع في استانبول بتحقيق الدكتور أحمد صبحي فُرات عام 1405هـ.

و أمّا المصدر الذي أُلّف للعلماء العثمانيين بعد الشقائق النعمانية هو *كتاب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار* لمحمود بن سليمان الكفوي. و هذا الكتاب يتبع منهجة الشقائق النعمانية. أُلّف هذا الكتاب بالاستفادة من مؤلفات و إجازات العلماء المعاصرين المتقدمين.

و الكتاب الثالث هو *"طبقات السنيّة في تراجم الحنفية"* لتقي الدين التميمي. كما يُعرف من اسمه أنّه يتناول الفقهاء العثمانيين و خاصّة من بداية الدولة العثمانية. و الحاصل أنّ هذه المؤلفات و أمثالها قد أُلّفَت بالدراسة علي المجموعات في المكتبات و علي القيودات و الوقفيات في "نظارت أوقاف همايون".

و أخيرا في بحثنا هذا أردنا أن نعطي معلومات موجزة عن جهود العلماء العثمانيين و تعريف عن بعضهم لنريح السخاوي رحمه الله لقوله "قلّ أن تصل إلينا أخبارهم".

المراجع و المصادر

- البغدادي، اسماعيل باشا البغدادي ، هدية العارفين (أسماء المؤلفين و آثار المصنفين)، استانبول 1951.
- Carl Brockelmann, *Geschichte Der ArabitcheLiterature*, Leiden, Brill 1937-1949 Ersterbant I-II.
- Carl Brockelmann, *Geschichte Der ArabitcheLiterature*, Leiden, Brill 1937-1949, Supplementbant I-III.
- طاشكوبري زاده (عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصطفى)، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ، بيروت 1989/1395.
- عطائ، نوعي زاده عبد الله بن يحيى، حقائق الحقائق في تكملة الشقائق، نشر د.عبد القادر اوزجان، استانبول 1989.
- مجدي محمد أفندي، حقائق الشقائق، نشر د.عبد القادر اوزجان، استانبول 1989.
- M. Zeki Pakalın, *Osmanlı Tarih Deyimleri ve Terimleri Sözlüğü*, İstanbul 1971.
- Türkiye Diyanet Vakfı (DİA), *İslam Ansiklopedisi*, İstanbul 1988.
- Mehmet Yavuz, *Arap Gramerine Dair Eser Yazan Osmanlı- Türk Âlimleri (XVI.-XX. Asırlar)*, İstanbul 2008.